مجلة المنهل-المجلد: 08، العدد: 02 (2022م)-ص ص 201 - 214
ISSN :2437 - 1068 ●EISSN8392-2710

تصريف الفعل ودلالات اختلافه في القراءات القرآنية

Conjugation of the verb and the implications of its difference in the Qur'anic recitations

بسمه بله باسي (*)
مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الاسلامية
جامعة الوادي - (الجزائر)
bellabaci-basma@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2022/04/08	2022/09/14	2023/01/13

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى معالجة قضية اختلاف تصريف الفعل حول الزمن من جهة، وحروف المضارعة من جهة أخرى ودلالته في القراءات القرآنية، وذلك باستهداف مواقع الخلاف في تصريف الفعل بين القراء العشرة وتوجيه أهل التفسير وعلماء الصرف واللغة لها، وبيان أوجه تأثير هذا الاختلاف على المعنى ودلالات هذا التنوع، وهل يقتصر هذا التغاير على اللفظ أم يتعداه إلى المعنى؟ وهل تستوجب الزيادة في المبنى زيادة في المعنى؟

ومن ذلك نصل إلى وجود تنوع صيغي بين أزمنة الفعل ماضية ومضارعة وأمرا، بالإضافة إلى الاختلاف حول حروف المضارعة وهو مصحوب بتغيرات دلالية، وهذا الاختلاف الدلالي من قراءة إلى أخرى ليس اختلاف تناقض وإنّما هو اختلاف تنوع في الفهم أو المعنى بما يزيد من وضوح المراد.

الكلمات المفتاحية: تصريف الفعل؛ زمن الفعل؛ حروف المضارعة؛ دلالة الاختلاف؛ القراءات القرآنية.

Abstract :

This study aims to examine the issue of the difference in the conjugation of the verb around tense on the one hand, and the present tense endings on the other hand, and its significance in the Qur'anic recitations, by targeting the different perspectives on the conjugation of the verb among the ten recitations, Ahl Tafsir morphologists and linguists. The study aims at clarifying the difference in terms of its impact of the semantic and pragmatic meanings and to examine whether the difference in recitations is confined to utterances or extended at the meaning level and does this requires morphological affixations?We conclude that the existence of morphological diversity of the tense aspect of verb the past, present, and command, in addition to the difference in the present tense affixations and it is accompanied by changes in the semantic connotations.This semantic difference from one recitation to another is not contradictory, but rather it is due to a difference in interpretions that add the needed clarity.

(*) المؤلف المراسل.

Keywords: (verb conjugation; verb tense; present tense letters; difference indication; Quranic readings)

1ـ مقـــدمة:

تمثل القراءات القرآنية برمتها المرجع الأساس في دراسة اللغة، وهي أوثق الشواهد على ما كانت عليه ظواهرها الصوتية والنحوية واللغوية والصرفية بعامة في مختلف الألسنة واللهجات، وعليه نسلط الضوء في هذه الورقة البحثية على اختلاف تصريف الفعل حول الزمن وحروف المضارعة في القراءات القرآنية ودلالة اختلافه بين القراء العشرة، وذلك بالإجابة عن الإشكالية التالية:

ما مدى اختلاف القراء العشرة حول تصريف الفعل؟ وما مدى تأثير هذا الاختلاف على الحقل الدلالي للفعل إن وجد؟

وذلك بهدف رصد بعض مواضع الخلاف في تصريف الفعل بين القراء العشرة، وتوجيهه بين أهل التفسير وعلماء اللغة، ومدى تأثيره على المعنى.

متتبعة في ذلك منهجية موحدة تجسّدت في ذكر الفعل والآية الوارد فيها، ومن ثمّ ذكر اختلافات القراء العشرة حوله، ثمّ أذكر أقوال أهل اللغة والتفسير فيه والوصول بعد ذلك إلى نتيجة متعلقة به.

2ـ الاختلاف حول الزمن ودلالته

إنّ لأفعالِ اللّغةِ إمكاناتٍ زمنيّةً مختلِفةً، فأزمنةُ الأفعالِ هي التي تصنعُ النّسقَ الزّمنِيّ في لغةٍ من اللّغاتِ، ولكنّ الذي يعنينا في هذا المقام، هو اختلاف أزمنة الفعل بين القراء العشرة وما تؤديه هذه **الا**ختلافات من تنوع في الدلالة، وذلك بتفصيل القول في هذه الأزمنة، والوقوف عند بعض الأفعال التي اختلفت أزمنتها بين القراء، بما يتفق مع رسم المصحف، وما تواتر نقله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما مدى اختلاف أزمنة الفعل في القراءات القرآنية؟ وما هي دلالات هذا التغاير؟

1. **الفعل (اتخذ)**، قال تعالى: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [البقرة: 125].

قرأ نافع وابن عامر(اتَّخَذُوا) بفتح الخاء، وقرأ الباقون (وَاتَّخِذُوا) بكسر الخاء (النيسابوري، 1981م، صفحة 135).

فأما قراءة (اتَّخَذُوا) بفتح الخاء على جهة الخبر، فمن اتخذه من متبعي إبراهيم، وهو معطوف على جعلنا، أي: جعلنا البيت مثابة واتخذوه مصلى، وقيل هو معطوف على تقدير إذ، كأنه قال: وإذ جعلنا البيت مثابة، وإذ اتخذوا، فعلى الأول الكلام جملة واحدة، وعلى الثاني جملتان، (القرطبي، 1384هـ –

1964 م، صفحة 111 مجلد 2) وهو للدلالة على حصول الجعل بطريق دلالة الاقتضاء، فكأنه قال جعلنا ذلك فاتخذوه (عاشور ا.، د ت، صفحة 170 مجلد 1).

وأما قراءة (اتَّخِذُوا) بكسر الخاء على الأمر، (مجاهد، 1400ه) فقد قطعوه من الأول، وجعلوه معطوفا جملة على جملة، قال المهدوي: يجوز أن يكون معطوفا على (اذكروا نعمتي)، كأنّه قال ذلك لليهود، أو على معنى إذ جعلنا البيت، لأنّ معناها ذكروا إذ جعلنا، أو على معنى قوله: (مثابة) لان معناه ثوبوا (القرطبي، 1384ه – 1964 م، صفحة 111 مجلد 2)، فكأنّه قيل جعلنا ذلك فاتخذوا، على تقدير القول، أي: قلنا اتخِذوا بقرينة الخطاب، فيكون العامل المعطوف محذوفاً بالقرينة، (عاشور ا.، د ت، صفحة 170 مجلد 1) وبقي معموله، كقول لبيد:

فَعَلاَ فروعُ الأَيهقان وأطفلتْ *** بالجَلْهَتَيْن ظِبَاؤُها ونَعَامُها.

أراد: وباضت نعامها، فإنه لا يقال لأفراخ الطير أطفال، فمآل القراءتين إلى مفاد واحد.

وخلاصة القول في هذا أنَّ القراءتين متقاربتان، فمفاد قراءة الكسر في الخاء (اتخِذوا) على صيغة الأمر، ومفاد قراءة الفتح في الخاء(اتخَذوا) على صيغة الماضي، ودليل الفتح عند من اختاروا هذه القراءة، أنَّ الذي بعده خبر، وهو قوله: { وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُود} [البقرة: 125].

2. **الفعل (علم)**، قال تعالى: {قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: 259]

قرأ حمزة والكسائي (اِعْلَمُ) بالوصل والجز م على الأمر، وقرأ الباقون (أَعْلَمُ) بالقطع والرفع، على الخبر (النيسابوري، 1981م، صفحة 151).

فأما قراءة (اِعْلَمُ) بالوصل والجزم على الأمر، فحجة من قرأ بها أنه جعله من أمر الله تعالى للمخاطب (خالويه، 1401ه، صفحة 100).

وقرأ الباقون (أَعْلَمُ) بالقطع والرفع، على الخبر (النيسابوري، 1981م، صفحة 151)، فحجة من قرأ بها: أنه جعله من إخبار المتكلم عن نفسه (خالويه، 1401ه، صفحة 100)، فنزّل نفسه– عند الخاطر الذي يخطر له عند نظره– منزلة مناظر له غيره (خالويه، 1401ه، صفحة 100).

قال أبو علي: أما من قرأه على لفظ الخبر، فإنّه لمّا شاهد ما شاهد من إحياء الله، وبعثه إياه بعد وفاته، أخبر عما تبيّنه وتيقّنه مما لم يكن تبيّنه، هذا التبيين الّذي لا يجوز أن يعترض عليه فيه إشكال، ولا يخطر على باله شبهة ولا ارتياب، فقال: أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، أي: أعلم هذا الضرب من العلم الذي لم أكن علمته قبل.

ومن قال: اعْلَمُ على لفظ الأمر، فالمعنى: يؤول إلى الخبر، وذاك أنّه لما تبيّن له ما تبيّن من الوجه الذي ليس لشبهة عليه منه طريق، نزّل نفسه منزلة غيره، فخاطبها كما يخاطب سواها فقال: (اعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وهذا مما تفعله العرب، ينزّل أحدهم نفسه منزلة الأجنبيّ فيخاطبها كما تخاطبه (الفارسي، 1413 هـ- 1993م، صفحة 383 مجلد 2).

ويبدي الطبري رأيه في القراءتين بترجيح احداهما على الأخرى كعادته، نقلا عن ابن زيدون قائلا: "وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ: (اعلم) بوصل الألف، وجزم الميم، على وجه الأمر من الله تعالى ذكره للذي قد أحياه بعد مماته، بالأمر بأن يعلم أن الله الذي أراه بعينيه ما أراه من عظيم قدرته، وسلطانه، من إحيائه إياه وحماره بعد موت مائة عام، وبلائه حتى عادا كهيئتهما يوم قبض أرواحهما، وحفظ عليه طعامه وشرابه مائة عام حتى رده عليه كهيئته يوم وضعه غير متغير على كل شيء قادر كذلك" (الطبري، 1422هـ- 2001م، صفحة 623 مجلد 4).

ثم يقول أيضا: "إنما اخترنا قراءة ذلك كذلك، وحكمنا له بالصواب دون غيره؛ لأن ما قبله من الكلام أمر من الله تعالى ذكره، قولا للذي أحياه الله بعد مماته وخطابا له به، وذلك قوله: {فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّه} [البقرة: 259]، فلما تبين له ذلك جوابا عن مسألته ربه: (أنى يحيي هذه الله بعد موتها)؟ قال الله له: اعلم أن الله الذي فعل هذه الأشياء على ما رأيت، على غير ذلك من الأشياء قدير، كقدرته على ما رأيت وأمثاله، كما قال تعالى ذكره لخليله إبراهيم عليه السلام، بعد أن أجابه عن مسألته إياه في قوله: (رب أرني كيف تحيي الموتى) (واعلم أن الله عزيز حكيم)، فأمر إبراهيم بأن يعلم بعد أن أراه كيفية إحيائه الموتى أنه عزيز حكيم، فكذلك أمر الذي سأل فقال: (أنى يحيي هذه الله بعد موتها)، بعد أن أراه كيفية إحيائه إياها، أن يعلم أن الله على كل شيء قدير (الطبري، 1422هـ- 2001م، صفحة 623 مجلد 4).

في حين بيّن الإمام الطاهر ابن عاشور أنَّ: (أعلم) بهمزة قطع، على أنّه مضارع عَلم، فيكون جوابَ (الذي مر على قرية) عن قول الله له (فانظر إلى طعامك)، وجاء بالمضارع ليدل على ما في كلام هذا النبي، من الدلالة على تجدد علمه بذلك، لأنه عَلمِه في قبلُ وتجدد علمه إياه (عاشور ا.، د ت، صفحة 383 مجلد 3)، (واعلم) على الإخبار، كأنه قال: اعلم ما كنت تعلمه غيبًا مشاهدة (الماتريدي، 1426هـ - 2005م، صفحة 249 مجلد 2).

وخلاصة القول في هذا أنَّ القراءة الأولى على صيغة المضارع، والثانية على صيغة الأمر، فالمخاطِب في صيغة الأمر هو المولى عز وجل، والخطاب في صيغة المضارع من اخبار المتكلم.

3. **الفعل (نجّى)**،قال تعالى: {حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ} [يوسف: 110]

قرأ عاصم وابن عامر ويعقوب(فَنُجِّيَ)، بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء، وقرأ الباقون(فنَنُجِيَ)، بنونين وتخفيف الجيم وسكون الياء (النيسابوري، 1981م، صفحة 248).

فأما قراءة (فَنُجِّيَ)، بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء، فـ(من) فيها في محل رفع، على أنها نائب الفاعل (الشوكاني، 1414هـ، صفحة 73 مجلد 3)، فحجة من قرأ بهذه القراءة: أنه جعله فعلا ماضيا، بني للمفعول، وسهل ذلك عليه كتابته بنون واحدة، لأنها خفيت للغنّة لفظا، فحذفت خطّا (خالويه، 1401هـ، صفحة 199)، ولأن القصة ماضية، ويقوّي قوله: أنّه قد عطف عليه فعل مسند إلى المفعول وهو قوله: {وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِين} [يوسف: 110] ولو كان ننجي مسندا إلى الفاعل كما في قراءة (فنَنُجِيَ) بنونين، لكان لا (نردّ) أشبه به ليكون مثلا لمعطوف عليه.

وأما قراءة (فنَنُجِيَ) بنونين وتخفيف الجيم وسكون الياء، فـ (من) فيها في محل نصب على أنها مفعول (الشوكاني، 1414هـ، صفحة 73 مجلد 3)، والحجة لمن قرأه بنونين: أنه دلّ بالأولى على الاستقبال، وبالثانية على الأصل، وأسكن الياء علما للرفع (خالويه، 1401هـ، صفحة 199).

وخلاصة القول في هذا أنَّ القراءتين، على صيغتي الماضي والمضارع صحيحتان وثابتتان، نقلتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن قرأ الفعل على صيغة الماضي، فقد بناه للمفعول، ومن قرأه على صيغة المضارع فقد جعل الفعل في الحاضر مبنيًّا للفاعل، وهو المولى عز وجل.

4. **الفعل (قال)**، قال تعالى: {وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولً} [الإسراء: 94]

قرأ ابن كثير وابن عامر(قال) بالألف على الخبر، وقرأ الباقون (قُلْ) على الأمر (النيسابوري، 1981م، صفحة 272).

فأما قراءة (قال) بالألف على الخبر، وعليه مصاحف مكة والشام، فيعني النبي صلى الله عليه وسلم، قال ذلك تنزيها لله عزو جل عن أن يعجز عن شيء، وعن أن يعترض عليه في فعل.

وجاء في تفسير القرطبي: هذا كله تعجب عن فرط كفرهم اقتراحاتهم، حين طلبوا منه أن يفجر لهم من الأرض ينبوعا، وأن يأتيهم بمعجزات غيرها (القرطبي، 1384هـ – 1964 م، صفحة 331 مجلد 10)، وحجتهما أَن الرَّسُول صلى الله عَلَيْهِ قَالَ: عِنْد اقتراحهم هَذِه الْأَشْيَاء الَّتِي لَيست فِي طَاقَة الْبشر أَن يفعلها فَقَالَ (سُبْحَانَ رَبِّي هَل كنت إِلَّا بشرا رَسُولا) (زنجلة، د.ت، صفحة 410)، ويقوّي ذلك أيضا قوله: {قُلْ

إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُم} [الكهف: 110] [الكهف: 110]، ونحو ذلك مما يجيء على لفظ الأمر دون الخبر (الفارسي، 1413 هـ- 1993م، الصفحات 121-122 مجلد 5).

وأما قراءة (قُلْ) على الأمر، فحجتهم مَا تقدم من المخاطبة (زنجلة، د.ت، صفحة 410)، أي قل لهم يا محمد هل كنت إلا بشرا رسولا، أتّبع ما يوحى إلي من ربي، ويفعل الله ما يشاء، من هذه الأشياء التي ليست في قدرة البشر، فهل سمعتم أحدا من البشر أتى بهذه الآيات؟ (القرطبي، 1384هـ - 1964 م، صفحة 331 مجلد 10)

ومنه يمكننا القول إنَّ الفعل جاء في القراءة الأولى بصيغة الأمر (قل)، على أنَّ المولى عز وجل يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم آمرا إياه ، في حين جاء في القراءة الثانية بصيغة الماضي (قال)، على أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب قومه، وهذا الخلاف بين القراءتين لا يغير من الدلالة العامة للآية.

5. **الفعل (نزَّل)**، قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً } [الفرقان: 32]

قَرَأَ ابْن كثير(نُنْزِل) بنونين الأولى مَضْمُومَة وَالثَّانِيَة سَاكِنة وَاللَّام مَرْفُوعَة (الْمَلَائِكَة) نصب، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (وَنُزِّل) على البناء للمفعول (خالويه، 1401هـ، صفحة 265).

فأما قراءة (نُنْزِل) فالله تَعَالَى يخبر عَن نَفسه، أَي ننزل نَحن الْمَلَائِكَة، وحجة ابن كثير في (نُنْزِل) قوله تعالى (تَنْزِيلا)، مصدر (نَزَّل) تَنْزِيلا وَمن (أنزل) ينزل إنزالا لَا يَجِيء، إِلَّا أَنه قد جَاءَ فِي الْقُرْآن مثله، وَهُوَ قَوْله {وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا} [المزمل: 8]، وَلم يقل تبتلا، فَكَذَلِك قِرَاءَة ابْن كثير (زنجلة، د.ت، الصفحات 510-511)، وحجته أنه أخذه من: (أنزلنا)، فالأولى نون الاستقبال، والثانية نون الأصل، وهو من إخبار الله تعالى عن نفسه، ولو شدّد الزاي مع التنوين لوافق ذلك المصدر (خالويه، 1401هـ، صفحة 265).

وأما قراءة (نُزِّل) على البناء للمفعول، فلِأَن (تَنْزِيلا) لَا يكون إِلَّا مصدر(نزَّل) (زنجلة، د.ت، الصفحات 510-511)، وحجة من شدّد ورفع، أنه جعله فعل مبني للمفعول ماضيا، فرفع به، ودليله قوله: (تنزيلا) لأنه من نزّل كما كان قوله تعالى: (تَقْتِيلًا) من قتّل (خالويه، 1401هـ، صفحة 265).

قال أبو علي: التنزيل: مصدر(نزّل)،فكما أنّ في بعض الحروف: (ونُزِّل الملائكة تنزيلا)، لأنّ (أنزل) مثل(نزّل)، كذلك قال ابن كثير: (وننزل الملائكة تنزيلا) وفي التنزيل: (وتبتل إليه تبتيلا)، فجاء المصدر على (فعّل)، ولوكان على تبتّل لكان تبتّلا.

ويبدو أن المعنى في القراءتين واحد، قال الأزهري: "مَنْ قَرَأَ (وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ) فهو على البناء للمفعول، وَمَنْ قَرَأَ (ونُنزِلُ الملائكةَ) فهو منقول الله، و(الملائكةَ) نصبٌ لأنه مفعول به" (الأزهري) (الأزهري، معاني القراءات، 1412 – 1991 م).

وخلاصة القول في هذا أنَّ من قرأ (نُزِّل) في زمن الماضي، فقد بنى الفعل للمفعول، ومن قرأ (تنزَّل) في زمن المضارع، فقد بنى الفعل للفاعل، وهو الملائكة، وعليه فإن القراءتين متفقتان، في الدلالة العامة، ولاختلاف بينهما.

6. **الفعل (طوَّع)**، قال تعالى: { فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} [البقرة: 158] قرأ حمزة والكسائي وخلف (يَطَّوَّعَ) بالياء وتشديد الطاء وجزم العين، وقرأ الباقون (تَطَوَّعَ) بالتاء وفتح العين (النيسابوري، 1981م، صفحة 138).

فأما قراءة (يَطَّوَّعَ)، فعلى معنى يتطوع (القرطبي، 1384هـ – 1964 م، صفحة 290 مجلد 2)، وحجة من قرأ بهذه القراءة أنّه أراد، يتطوّع فأسكن التاء، وأدغمها في الطاء، وأبقى الياء ليدل بها على الاستقبال (خالويه، 1401هـ، صفحة 90).

وأما قراءة (تَطَوَّعَ) بالتاء وفتح العين جميعا، فعلى الماضي (القرطبي، 1384هـ – 1964 م، صفحة 290 مجلد 2)، وحجة من قرأ بهذه القراءة أنه جعله فعلا ماضيا على بنائه، في موضع الاستقبال، لأن الماضي يقوم مقام المستقبل في الشرط. (خالويه، 1401هـ، صفحة 90)

وعليه فإنَّ القراءتين معروفتان صحيحتان متفقتان في المعنى غير مختلفتين؛ لأنّ الماضي من الفعل مع الشرط بمعنى المستقبل، ومعنى ذلك، ومن تطوع بالحج والعمرة بعد قضاء حجته الواجبة عليه، فإن الله شاكر له، على تطوعه له بما تطوع به من ذلك ابتغاء وجهه، فمجازيه به (الطبري، 1422هـ–2001م، الصفحات 727–728 مجلد 2).

وخلاصة القول في هذا، أنَّ الفعل جاء في القراءة الأولى بالتاء (تطوع)، على صيغة الماضي، وفي الثانية بالياء (يطوع)، على صيغة المضارع.

3ـ الاختلاف حول حروف المضارعة

هناك عدد من الأفعال في القراءات القرآنية يحتمل رسمه أكثر من حرف من حروف المضارعة، وقد اختار كل قارئ حرفا على حسب ما استقر عنده من القراءة المنقولة بالتواتر، وتنوع أحرف المضارعة يؤدي الى تنوع الفاعل، كما يظهر في هذه الأمثلة:

1. **الفعل (شاء)، (خسف)، (سقط)** قال تعالى: { إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ} [سبأ: 9]

قرأ حمزة والكسائي وخلف (يَشَأْ)، (يَخْسِفْ)، (يسقط) بالياء، وقرأ الباقون (نَشَأْ)، (نَخْسِفْ)، (نسقط) بالنون (النيسابوري، 1981م، صفحة 360).

فأما قراءة (يشأ)، (يخسف)، (يسقط) بالياء، فلذكر الله من قبل، أي أنه جعله من إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل (خالويه، 1401هـ، صفحة 292).

وأما قراءة (نشأ)، (نخسف)، (نسقط) بالنون، فمن إخبار الله تعالى عن ذاته، (خالويه، 1401هـ، صفحة 292) أي فيما ترون من السماء والأرض، لآية تدل على قدرتنا على البعث، لكل عبد منيب، تائب راجع إلى الله بقلبه. (البغوي، 1420هـ، صفحة 671 مجلد 3)

ومنه يمكننا القول إنَّ الاختلاف في القراءتين بين النون والياء، لا يغير من المفهوم العام للآية، وإنما أدى الاختلاف في حرف المضارعة، الى اختلاف في المُخبر (الفاعل)، فكان في القراءة الأولى، المخبر هو الله عز وجل عن نفسه، وفي القراءة الثانية، المخبر هو النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه.

2. **الفعل (حشر)**، قال تعالى: {وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ } [فصلت: 19]

قرأ نافع ويعقوب (نَحْشُرُ) بالنون (أَعْدَاءُ اللَّهِ) بالنصب، وقرأ الباقون (يُحْشَرُ) بضم الياء (النيسابوري، 1981م، صفحة 576).

فأما قراءة (نَحْشُرُ) بالنون، فعلى البناء للفاعل، حملا على نون العظمة، في قوله تعالى قبل، {وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [فصلت: 18] ، ومن هذا يتبين أنَّ فاعل (نحشر) ضمير مستتر تقديره (نحن) (محيسن، 1404 هـ – 1984 م، صفحة 146 مجلد 2).

وأما قراءة (يُحْشَرُ) بضم الياء، ورفع أعداء؛ فلأنه مفعول للمبني للمفعول، والمعنى واحد. (الأزهري، معاني القراءات، 1412 – 1991 م)

وخلاصة القول في هذا أنَّ قراءة (نحشر)، بالنصب على صيغة البناء للفاعل، على أساس أنَّ المولى عز وجل يتكلم عن نفسه ، وأما قراءة (يحشر) فهي على البناء للمفعول، فالفاعل مضمر.

3. **الفعل (آتى)**، قال تعالى: { وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [الفتح: 10]

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر (فَسَنُؤْتِيهِ) بالنون، وقرأ الباقون (فَسَيُؤْتِيهِ) بياء الغيبة. (النيسابوري، 1981م، صفحة 410)

فأما قراءة (فَسَيُؤْتِيهِ) بالنون، فالله تعالى يتكلم عن نفسه.

وأما قراءة (فَسَيُؤْتِيهِ) بياء الغيبة، فحملا على نسق الكلام، لأن قبله بما عاهد عليه الله، والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على لفظ الجلالة (الله). (محيسن، 1404 هـ – 1984 م، صفحة 138 مجلد 2)

وعن ذلك يقول الأزهري: "من قرأ بالنون أو الياء فالفعل لله عزَّ وجلَّ". (محيسن، 1404 هـ – 1984 م، صفحة 138)

وعليه يمكننا القول إنَّ قراءة (فسنؤتيه) بنون المخاطب، على صيغة المتكلم، فالله يتكلم عن ذاته، أما قراءة (فسيؤتيه)، على صيغة الغائب، وهي تعود على لفظ الجلالة السابق في قوله تعالى (ومن أوفى بما عاهد عليه الله).

4. **الفعل (عبد)**، قال تعالى: { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } [البقرة: 83]

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (يَعْبُدُونَ) بالياء، وقرأ الباقون (تَعْبُدُونَ) بالتاء. (النيسابوري، 1981م، الصفحات 131–132)

فأما قراءة (يَعْبُدُونَ) بالياء، فمعناه وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل، بأن لا يعبدوا إلا الله . (السمرقندي، د ت، الصفحات 95–96 مجلد 1)

وأما قراءة (تَعْبُدُونَ) بالتاء، حملا على الخطاب الذي بعده، في قوله تعالى: (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ)، (محيسن، 1404 هـ – 1984 م، صفحة 139 مجلد 2) ومعناه وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل، وقلنا لا تعبدوا إلا الله، يعني أخذنا عليهم الميثاق بأن لا تعبدوا إلا الله، يعني لا توحدوا إلا الله وبالوالدين إحسانا. (السمرقندي، د ت، الصفحات 95–96 مجلد 1)

فمن قرأ بالغيبة فلأن الأسماء الظاهرة حكمها الغيبة، ومن قرأ بالخطاب فهو التفات، وحكمته أنّه أدعى لقبول المخاطب الأمر والنهي الواردين عليه، وجعل بعضهم قراءة الخطاب على إضمار القول، قال: "يقرأ بالتاء على تقدير: قلنا لهم: تعبدون إلا الله" وكونه التفاتا أحسن (الحلبي، د ت).

ومن هنا يمكننا القول إن التنوع بين القراءتين هو تنقل بصيغة القول من الخطاب الى الغيبة.

5. **الفعل (أوقد)**، قال تعالى: {وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُه} [الرعد: 17]

قرأ عاصم في رواية حفص، وحمزة والكسائي وخلف (يُوقِدُونَ) بالياء، وقرأ الباقون (تُوقِدُونَ) بالتاء. (النيسابوري، 1981م، صفحة 255)

فأما قراءة (يُوقِدُونَ) بالياء، فحملا على ما قبله من لفظ الغيبة، في قوله تعالى: (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه)، فجرى الكلام على نسق واحد. (محيسن، 1404 هـ – 1984 م، صفحة 141 مجلد 2)

وأما قراءة (تُوقِدُونَ) بالتاء، فحملا على الخطاب الذي قبله، في قوله تعالى: (قل أفاتخذتم من دونه أولياء) . (محيسن، 1404 هـ – 1984 م، صفحة 141 مجلد 2)

قال الأزهري: مَنْ قرأ (يُوقدون) فللغيبة، وَمَنْ قَرَأَ بالتاء (توقدون) فللمخاطبة ، وهو خطاب للنبي صلى الله عليه ، ولأمتِه . (الأزهري، معاني القراءات، 1412 – 1991 م ، صفحة 57 مجلد 2)

ولا يخالف القول في هذه الآية، ما سبق ذكره، من أنَّ التغاير بين القراءتين تغاير بين الخطاب والغيبة، لا يؤدي الى تغير في الدلالة العام للآية.

6. **الفعل (ذكَّر)**، قال تعالى: { أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ } [النمل: 62]

قرأ أبو عمرو (يَذَكَّرُونَ) بالياء، وقرأ الباقون (تَذَكَّرُونَ) بالتاء. (النيسابوري، 1981م، صفحة 334)

فأما قراءة (يَذَكَّرُونَ) بالياء، بصيغة الغائب، فعائدة على المشركين.

وأما قراءة (تَذَكَّرُونَ) بالتاء، فحملا على الخطاب الذي قبله في قوله تعالى: فلا أقسم بما تبصرون. (محيسن، 1404 هـ – 1984 م، صفحة 144 مجلد 2)

قال أبو علي: (قليلا ما يذكرون)، أي ما يذّكر هؤلاء المشركون، الذين يجعلون مع الله آلهة أخرى، أو إلها آخر، ووجه الخطاب والتاء، أنّ الخطاب مصروف إليهم دون المسلمين، كأنّه: قال قل لهم يا محمد: (قليلا ما تذكرون). (الفارسي، 1413 هـ– 1993م، صفحة 399 مجلد 5)

وخلاصة القول في هذا أن القراءتين صحيحتان، يحسن القول بهما، فمن قرأ بالياء فللغيبة، ومن قرأ بالتاء فللخطاب، وكلاهما جائز.

7. **الفعل (عصر)**، قال تعالى: { ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُون} [يوسف: 49]

قرأ حمزة والكسائي وخلف (تَعْصِرُونَ) بالتاء، وقرأ الباقون (يَعْصِرُونَ) بالياء. (النيسابوري، 1981م، صفحة 246)

فأما قراءة (تَعْصِرُونَ) بالتاء، فحملا على الخطاب الذي قبله في قوله تعالى: (يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُن)، (محيسن، 1404 هـ – 1984 م، صفحة 141 مجلد 2) فمن قرأه بالتاء فحجته: أنّه خصّهم بذلك دون الناس، (خالويه، 1401هـ، صفحة 196) فأراد: معنى المواجهة بالخطاب لمَّا أنكروا البعث والنشور، فقيل لهم: فإنكاركم لابتداء الخلق أولى بذلك، فإمّا أن تنكروهما جميعا، أو تقرّوا بهما جميعا. (خالويه، 1401هـ، صفحة 196)

وأما قراءة (يَعْصِرُونَ) بالياء، أَي يعصرون الزَّيْت وَالْعِنَب، وحجتهم ذكرهَا اليزيدي، فَقَالَ يَعْنِي النَّاس، وذهب اليزيدي إِلَى أَنه لما قرب الْفِعْل من النَّاس جعله لَهُم، (زنجلة، د.ت، الصفحات 359 – 360) أي أنه خصّهم بذلك دون الناس. (خالويه، 1401هـ، صفحة 196)

وممّا سبق ذكره يمكننا القول أنَّ من قرأ بالتاء، فلمعنى المخاطبة، ومن قرا بالياء، فلمعنى المغايبة.

8. **الفعل (رأى)**، قال تعالى: { أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُون} [النحل: 48]

قرأ حمزة والكسائي وخلف (تَرَوْا) بالتاء، وقرأ الباقون (يَرَوْا) بالياء (النيسابوري، 1981م، صفحة 264).

فأما قراءة (تَرَوْا) بالتاء، فبمعنى المواجهة بالخطاب، لَمَّا أنكروا البعث والنشور، فقيل لهم: فإنكاركم لابتداء الخلق أولى بذلك، فإمّا أن تنكروهما جميعا أو تقرّوا بهما جميعا (خالويه، 1401هـ، صفحة 279).

وأما قراءة (يَرَوْا) بالياء في الموضعين، فعلى طريق الغيبة والبلاغ لهم، (خالويه، 1401هـ، صفحة 279) على معنى المغايبة يعني أولم يعتبروا إلى ما خلق الله من شيء، عند طلوع الشمس وعند غروبها، يتفيؤا ظلاله، يعني يدور ظلاله، عن اليمين والشمائل.

وخلاصة القول فيما تم ذكره، أنَّ القراءتين بالتاء والياء، متقاربتي الدلالة ولا تناقض بينهما، فقراءة (تروا) بالتاء، حملت معنى المواجهة بالخطاب، وقراءة (يروا) بالياء، حملت معنى الغيبة في الخطاب.

4ـ خاتمة:

ومن جملة ما تقدم ذكره يمكننا القول:

- ✓ القراءات العشر المتواترة سنّةٌ متبعة، وهي أصل رئيسي من أصول الاحتجاج اللغوي بجميع مستوياته.
- ✓ القراءات العشر تشير إلى اختلاف أزمنة الفعل، واختلاف حروف المضارعة من قراءة إلى أخرى.
- ✓ يؤدي التغير في أزمنة الفعل من قراءة الى أخرى الى تغير في الفاعل أو المخبر عن الحدث الذي يسرده سياق الآية.
- ✓ يؤدي التغير في حروف المضارعة بين القراءات الى تغير الفاعل من قراءة الى أخرى.
- ✓ يؤدي اختلاف أحرف المضارعة بين القراءات الى انتقال القول من الخطاب الى الغيبة تارة، ومن الغيبة الى الخطاب تارة أخرى.
- ✓ الاختلافات الصرفية بين القراءات القرآنية قد تؤدي الى تغير في الدلالة، مع ملاحظة أنَّ هذا الاختلاف في الدلالة ليس اختلاف تناقض، وإنّما خلاف تنوع في الفهم أو المعنى بما يزيد من وضوح المراد.

5ـ قائمة المراجع:

1- ابن زنجلة، عبد الرحمان، (د.ت) حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.

2- ابن مجاهد، أحمد، (1400هـ)، السبعة في القراءات، مصر، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، ط2.

3- أبو الفتح بن جني، عثمان، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4.

4- أبو الليث السمرقندي، نصر بن محمد بحر العلوم، بيروت، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر.

5- أبو بكر بن مهران النيسابوري، أحمد بن الحسين، (1981م)، المبسوط في القراءات العشر، دمشق، تحقيق: سبيع حمزة حكيمي، مجمع اللغة العربية.

6- أبو جعفر الطبري، محمد بن جرير، (1422هـ- 2001م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1.

7- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، (1422 هـ - 2001 م)، تفسير البحر المحيط، بيروت، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط1.

8- أبو علي الفارسي، الحسن ابن أحمد (1413 هـ- 1993م)، الحجة للقراء السبعة، دمشق، تحقيق: بدر الدين قهوجي، بشير جويجابي، دار المأمون للتراث، ط2 .

9- أبو منصور الأزهري، محمد ابن أحمد (1412 - 1991 م)، معاني القراءات، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، مركز البحوث في كلية الآداب، ط1 .

10- أبو منصور الماتريدي، محمد بن محمد (1426هـ - 2005م)، تأويلات أهل السنة، بيروت، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، ط1.

11- ابن خالويه، الحسين بن أحمد (1401هـ)، الحجة في القراءات السبع، بيروت، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، ط4.

12- البغوي، الحسين بن مسعود (1420هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط1.

13- السمين الحلبي، بيروت، الدر المصون في علوم المكتوب، دمشق، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم.

14- أبو الخير ابن الجزري، شمس الدين، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.

15- شمس الدين القرطبي، محمد ابن أحمد (1384هـ - 1964 م)، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، ط2.

16- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصري، النكت والعيون، بيروت، تحقيق: السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية.

17- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع.

18- الشوكاني، محمد بن عبد الله، (1414هـ)، فتح القدير، دمشق/بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.

19- محيسن، محمد سالم، (1404 هـ - 1984 م)، القراءات وأثرها في علوم العربية، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية.

20- القيسي، مكي بن أبي طالب، (1429هـ - 2008م)، الهداية الى بلوغ النهاية، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة.